

الطيور لا تنظر خلفها حين تطلق

قصص قصيرة جدا

عبدالرحيم التداوي

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٢ / ١٠ / ٤٠٢٨)

٨١١.٩

التدلاوي، عبد الرحيم
الطيور لا تنظر خلفها حين تحلق
عبد الرحيم التدلاوي
(٦٤) ص
ر.ا. : ؟؟؟؟

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه
ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية
أو أي جهة حكومية أخرى

مسرور

رفعت هامتي عاليا....

رأيت، فيما يرى الإنسان العربي صاحيا و نائما، رأسي تتدحرج

بين.. قدمي

مسرور..

تناثر

نظرت إلى نفسي في المرآة..

__ ما هذا؟؟!!

ضربتها أرضاً..

تناثرت أقنعة!

بين عهدين

عاش طويلا تحت ظلال القهر و التسلط..

أتت الثورة مبشرة بعهد جديد...

عاش ، والله الحمد..

وقد سقط لسانه

إعادة تركيب

رأيت، فطمسوا عيني!
تكلمت، فقطعوا لساني!
كتبت، فبتروا يدي!
ثم وضعوني في تابوت، و أرسلوني إلى أمي
مصحوبا بعبارة:
'المرجو إعادة التركيب.'

زمن

بالداخل، نظرت الحسنة إلى نفسها بالمرآة، وقالت:

ما أبهاني..!

بالخارج، كانت الشمس تعزف لحن الغروب

سؤال نازف..

ما أعظم أبي!

(رأيتہ بيميناه يرفعني إلى أعلى ثم يتلقفني بحضنه الذي يشعري

بالاطمئنان.. رأيتہ قادرا على رفع العالم بيسراه.. وإذا شاء

..سحقه في ثانية!..).

ما بال أبي اليوم....

(يقف مبھلقا خلف قضبان عجزه كنمر في اليوم العاشر، بعيون

جريحة، يتابع الأيدي الآثمة الجوعى تنهش لباسي، تطير قطعه إلى

الأعلى بجنون.)

أبي! أبي.. ادفع عني العار..

أبي ادفع.. أبي..

أب..

اه

حسرة

علمت أن القاعة التي أمامي، بها نسوة جئن لمناقشة قضايا
الأسرة..

قلت هي مناسبة لإنهاء عزوبيتي الطويلة..

توجهت إليها وباليد باقة ورد..

وجدت الجو عابقا بالجمال.. بقيت أنظر إليهن باحثا..

لما علمن أن المغني المشهور خارج القاعة، هرعن إليه، وتركني

وحيدا، ممدا على الأرض، ووشم كعوبهن على جسدي، وفوق

الرأس ترقد الباقة..

تخل

أنار نصف الشجرة، زين كل غصونها بأوراق صغيرة مطوية
بعناية، بعث ريحا أسقطت على كل واحد من المنتظرين ورقته
بعد القراءة تعالت الفرحات، البكاء، الاحتجاج و الصراخ..
أعاد الكرة فعادت الأصوات بأشكال مختلفة..
قرر التخلي، و ترك القوم في أمورهم خائضين..

الصورة الثانية

زين أغصان الشجرة بأضواء ملونة وأوراق مطوية بعناية...
سلط عليها ريحا...التقط المحتفلون أوراقهم..تعالى ضحكهم
وبكاؤهم احتجاجا
وصراخا...
أعاد الكرة فعادت الأصوات بأشكال مختلفة
تخلّى عن اللعبة وتركهم في أمورهم خائضين..

الشيخ والمريد

دمدمت الأرض فأخرجت من أعماقها غضبا أسود.. تحول أوراقا
خضراء بين يدي الأمير، ناءت بحملها خزائنه.. جعل مفاتيحها
من لغات حية..

ولما خاف عليها من أعين الحساد، وطمع الطامعين، و الأيادي
المتدة.. صير نفسه شيخا، و الناس مريدين و جواري! ..

البئر المهجورة

بئر مهجورة ، ليس بها قطرة ماء . استعطفت السحب أن تهطل
المطر ، لما امتلأت ، فاضت بها في جوفها ..
سال ماؤها يستقي الحقول و يشرب منه البشر و الدواب ..
في صباح اليوم التالي ،
كانت الحياة تعانق الموت ! ...

حرائق

ارتفعت حرارة احلامه...

شغل المروحية...

استغذب الهواء البارد...

خلفه اشتعلت الحرائق!...

مساوان

جمعت بينهما مقاعد الدراسة، و فرقت بينهما الطريق..
الأول سار في التعليم حتى منتهاه، فكلل غارا..و الثاني انكسر و
انفصل..و أصبح قلما مستعارا..
الأول كتب قصائد..و الثاني كتب تقارير..
الأول ارتفع و سما..و الثاني انحنى ..انطوى..
ولما غدا كالمنجل..
حصد صديقه

هجرة

راودته أحلام بلون الزهور..
خاف على نفسه فأعرض عنها..
هجرتة إلى سرير رأس حالم!..

الطيور لا تنظر خلفها حين تحلق

سرت في أوصال الكون رعدة الدهول حين توقف العصفور عن

الرقص و الغناء..

رأى خلف زجاج أحد الفصول أطفالا في عمر الزهور، أذبلت

حرارة الأسئلة بتلاتهم.. كانوا يتفصدون عرقا بحثا عن أجوبة

منقذة.. زاد من وطأة حزنهم إناخة الصمت بكل كلة عليهم..

عب هواء الحياة جيدا ، ثم أرسله صداحا إلى أن تكسر الزجاج..

حلق فرحا في الفضاء الرحب.. يتبعه سرب طيور..

قبعة

شاهد الناس يضعون قبعات .. فأراد أن تكون له واحدة .. كل
القبعات التي نسجت له لم تناسبه .. ولا واحدة ..
غضب و بكى .. دس رأسه في التراب ..
لما نهض ، كانت تجلله هامته .

منازل

حلت ظلمة حالكة.. رأيت الناس يعدون حاملين مصابيح و

شموعا.. قيل لي:

__ نزل القمر إلى الأرض..

__ السعيد من يصادفه..

__ احمل مصباحك و اعد معنا..

__ قد تكون السعيد..

و عدوت في الاتجاه المعاكس..

قيل لي:

__ ماذا تفعل ؟ أجننت ؟!!

قلت:

__ أنا ذاهب لأحيي قمر منزلي..

سراب

المشهد الأول:

جسد أنحله الجوع كغصن تذروه الرياح، يجر بقايا عظام ويحمل
على كتفيه ما يشبه جمجمة جاحظة العينين يكاد صراخها يوقظ
من في القبور. أبى حلقي أن يبتلع اللقمة وآزرتها عيني بدمعة
ألهبت خدي..

المشهد الثاني:

شدني منظر المرأة النحيفة كقصبة صياد وهي تحمل طفلا صغيرا
لا يكف عن الصراخ، تجر ثلاثة أطفال نهش الجوع أجسامهم و
ترك عظام الأقفاص تمزق الجلد عويلا.. أ
وضعت اللقمة من فمي و أوقفت دمعه كادت تنفر
تعاطفا.. حرت ما الذي علي أن افعله، أأرفع المائدة أم أطفئ
التلفاز؟

الحدث

و أنا في حيرتي، سمعت طرقا على الباب، فتحتة، وإذا بي أمام
امرأة جافة الجسد، كالحة الوجه، تصحب ثلاثة أطفال هزيلي
الأجساد ضامري الأبدان، تتقطع أنفاسهم من شدة الجوع،
سألتها مستغربا، أين الرضيع؟
لم تعرف بم تحيب و هي التي تتوسل القوت... دخلت و عدت
إليها حاملا.. التلفاز و أغلقت الباب..

تذييل غير ملزم

نظرت من النافذة فإذا القوم نيام، يعلو وجههم البشر، وبقايا

طعام..

نظرت مستغربا إلى الداخل، رأيت التلفاز بمكانه، ولم

أرا الطعام!!

تينة

تفيأت ظلال تينة فتية، و شخصت ببصرها بعيدا..
لم تهتم بريح السموم تسقط الأوراق، و تمتص رحيق الحياة..
كانت مشغلة برسم حلم راودها كثيرا بالأفق، غير أن يدا
سوداء امتدت و لطخت اللوحة..
التفتت إلى الشجرة، وجدتها قد صارت عكازا..
اتكأت عليه، و سارت، تتمايل كتينة عجفاء.. !

انحناء

فار الدم في عروقه و هو يرى رئيسه مقبلا باتجاهه..
قرر وضع حد لسنوات القهر..أخرج كل أسلحته.
في لحظة ارتباك، تساقطت أرضا..
انحنى ليلتقطها، فوجد حذاء الرئيس قد علق به الغبار..
أحس بالمهانة، فقام يلمعه بلسانه!..

لحن الغروب

كانت الأميرة، من شرفة قصرها المنيف
تطلق في السماء ألحان الغروب..
كانت الشمس ترقص رقص الديك المذبوح..
نزت عرقا كثيرا خضب الأفق..
حين تقطع وتر العود..
كان العالم يتهاوى..

ي

ت

هـ

ا

و

ى

تداع

حين بلغت ذروة الالتحام، سمعت طرقا بدا لي قويا فانفصلت..
لبست ثيابي على عجل و انطلقت، من باب الغرفة الخلفي، إلى
السطح هاربا.. تعثرت و صياح المرأة يلاحقني.. كان السروال
مقلوبا.. و أنا أبغي القفز إلى سطح الجيران للخلاص من الورطة،
أمسكت بي المرأة و قالت:
__ماذا دهاك، أتريد أن تفضحني؟!!!
__اللعنة! إنها ليلة دخلتي..

دمية

في الليل، توسدت الطفلة أحلامها البريئة، حضنت دميتهـا
بحب، و نامت وقد علت محياها بسمة..
في الفجر، ومن خلف أستار الظلمة، امتدت يد و سرقت
اللعبة..

في الصباح، استيقظت و عليها لباس أبيض رسمت عليه حمرة.. و
على الخدين دمعة..
بالداخل، كتم الصدى صرخة..
بالخارج، سمعت زغاريد فرحة..

كعكة

اجتمع الأبناء بالمنزل للاحتفاء بقرب خروج أبيهم من
المشفى.. هياؤا كعكة لإكمال الفرحة..
رن الهاتف لقد غادر الحياة..
سارعوا إلى التهام التركة-..

عيد ميلاد

اجتمع الأبناء حول كعكة عيد الميلاد فرحين ببلوغ أبيهم سن

السبعين..

أطفأوا الأنوار..

استجمع الأب كل أنفاسه..

وبنفخة واحدة انطفأ..!

البيات الشتوي

أخبر الناس أن عاصفة ثلجية قادمة من الشمال ستحط بين
ظهرانيهم.. سارعوا لإغلاق نوافذهم الغربية..
بصيص نور شاحب أتاها من الجنوب، فلم يروا إلا عاصفة
رملية تهددهم.. أغلقوا عليهم تلك الكوة..
لم يبق إلا الماء من الجانين..
حل ظلام حالج و سكون رهيب.. ناموا طويلا..
حين استيقظوا، لفهم البياض..
أدركوا أن
الزم من صار كفنا لهم..

الدائرة المغلقة

في الليل.. كان شهريار، تحت سلطة النشوة و الرحيق المعتق، يلهو
بسيفه، يضرب الأعناق.. يفصل الرؤوس عن الأجساد.. ينتشي
بنافورة الدم الفواحة..
في الصباح.. يستيقظ على عودتها مضاعفة..
ظل تكاثرها يؤرقه.. اعتقد أن الخطأ في السيف.. استبدله و أكمل
الالتذاذ.. وعادت دائرة النساء في تكاثرها تحيط به حد
الاختناق..

نهض صارخا مفزوعا..

فسر الحكيم:

__ يجب البحث عن المفتاح..!

__ أين؟

__ في قلب شهرزاد..

فهم

حيرته تناقضات الواقع.. أراد فهمها..
أبحر في المطالعة.. ضاقت الغرفة وسدت الكتب منافذ الشمس..
لما خاف الاختناق.. قفز في ذاته..
وجد متسعاً..

ذاكرة

شعر العصفور الوديع بثقل الرحلة.. رأى عمودا منتصباً
بصحراء قاحلة.. رام استراحة.. توجه إليه.. فتحركت ذاكرة
ألمه..
حط فوقه مستعيراً مخالب عقاب..

..لعب..

جلست الصبية بالقرب من باب منزلها، تستقبل، بوجهها النضر،
أشعة الشمس الربيعية التي زادته ألقا.. تتابع بعينين براقتين لعب
أترابها و شغبهم اللذيذ.. لامست نسمة عابرة تغرها فتبسمت..
كانت تشجعهم و تحذرهم من أخطار الطريق السيار..
و حين انتضم الصبية في صف ييغون سباقا بزغت من داخلها
الرغبة في أن تشاركهم العدو و الفوز.. سارعت بالنهوض..
فتساقطت الرجلان!..

نمعرض

كنت بالسطح منهمكا بسعادة في خلط الجبس بالماء... أصب
الكل في قوالب بلاستيكية متنوعة لصنع لعب أبيعها حتى أتمكن
من مشاهدة الأفلام السينمائية..
قدم أبي فسارعت بعرض موهبتي.. غير أن تجهمه أجمني.. ثم
راح يدوس بقدميه على ما أنجزته و هو يردد: أصنان.. أصنام!
حين سكنت عنه الغضب، مدني بنقود و حثني على الذهاب إلى
المسجد، و سيمدني كل مرة بالقدر نفسه إذا لزمته.. بانتظام..
كانت بيدي ورقة الدخول..

٤٥

سئل النهر: لم لا يخرج ماؤك عن سريرته؟!
رد: لكي يحافظ على طهارته..!

حنين

كم كانت فرحة الأبوين كبيرة و هما يبصران طفلها ينجح في
المشي، بعد مسيرة طويلة و مضنية.. اكتنفتها سقطات كثيرة و
فشل كاد يعصف بكل أمل..
و كانت فرحة الطفل أشد و هو يرى نفسه يسجل اسمه بلائحة
الراجلين..
غير أن بالذاكرة ارتسم وشما حبو حنين...

عراف

نظر إلى كفها المبسوطة بكل حنو..

قال: ستكونين نجمة مشهورة..

فانبسطت..

بسط لها رداءه، و تبسط في الكلام..

فزاد انبساطها..

و كان من المرتقين..

تجربة

خرجت من تجربة جارحة.. كان قلبي كقرص شمس قد لونه
الغروب.. يمشي و قد غمس قدميه في لجة البحر...
كدت أغرق في التفكير، حين جاءني دعوة لحضور حفل
راقص... انقضضت على المناسبة...
حلقت شاربي و لحيتي.. لمعت وجهي و شعري.. لبست أحسن
الثياب...
بالحلبة كانت الصبايا يأتين برقص مغر.. يتقدمن نحوي
بقدودهن تحمل دعوة... ربطت علاقات سرية مع العديد
منهن...
نثرت رمادها فوق جرحي فانبعثت...

إعادة كتابة

الشاعر ذو العشرين ربيعاً، شفه الحب، أحاله ورقة خريف...
الشاب الذي شفه الحب، يقف برأس الدرب، ينتظر حبيبته و
بيده قصيدة...

الذي يحمل قصيدة، تساقطت أبياتها على رأسه فهزت أركانه، و
هو يشاهد حبيبته في لباس عرسها و قد زفت لوجيه المدينة...
قرر الانتقام:

كتب قصة طويلة، الشخصيات نفسها، الأمكنة والأحداث
ذاتها، تلاعب بالترتيب، و غير الخاتمة.

قصة كاتب

نظر الكاتب من شرفة غرفته الشاحب ضوءها، والكئيبة بفعل
عطانتها، إلى الساحة، حيث شاهد رجلا ضخما الجثة يلبس
وزرة بيضاء.. يحمل سكيناً.. رآه بخياله غاضبا بعينين تنطقان
شرا.. أكمل الصورة: امرأة مطروحة أرضا تنزف دما، وقد
اخترقتها طعنات عديدة..

حين استوت القصة في ذهنه أقفل راجعا إلى مكتبه ليدونها..
وجد خلفه الرجل واقفا، ما يزال يحمل سكينه، وقد احمرت،
فعلا، عيناه غضبا...

ثم قال له:

أنت من صيرني قاتلا!..

تراب

خرج إلى الخلاء يحمل معولا بحثا عن الكنز..
حفر بقوة إلى أن خارت قواه..
تمدد ليسترجع بعض طاقة..
تبسمت الريح و أرسلت له التراب غطاء!

ميدولوجيا

احتل وجه صارم الشاشة كلها، مزيجا برنامجي الترفيهي
المفضل.. ثبتني بنظراته النافذة، وراح يرسم لي عالما
ورديا.. يعدني و يمني..
لما لمح تبرمي.. أخرج لسانه الطويل و المشقوق.. شق به
رأسي.. لعق ما بداخله..
في لحظة وعي أخيرة.. علمت أنني صرت من الزواحف..

اغتصاب

رمق الرجل الصبية طويلا، وهي تلعب مع أقرانها، تلمظ حين
انحسر الثوب عن الفخدين الغضين، تناول مثلجات لترطيب
جوفه، بدا بلعقها بتلذذ إلى أن... ذابت... الطفلة!!!

تمثال

ذات غفلة أحست أنها ، قد أصبحت نجمة ساطعة، انتشت، ما

أقلقها الخبو...إلا

حين تذكرت البيت الذي يقول:

لكل شيء إذا ما تم نقصان***** فلا يغرب طيب العيش

إنسان..

انشغلت بثنائية السطوع و الخبو، و أرادت الانتصار للأول ضد

الثاني و نكاية في البيت..

اهتدت إلى حل، بناء تمثال، سمته الحرية...

رافعا يده اليمنى مشيرا بسبابته إلى الشرق...غمس أصبعه في

آباره..

ثم،

زرع فوضاه الخلاقة!...

حرقة الشدى

قلبي بساتين و رود..
لما تذوي..
أذهب إلى قبرها.. أبكيها بحرقة طويلا..
فترتوي و تتعش..

ربيع العطش

وهما يتابعان الأخبار، سأل الابن أباه باستغراب:

— لم انفصل الجنوب عن السودان ؟

رد الأب ساخرا:

— لكي يصنع ربيع العطش بمصر!!..

سكر زيادة

ظلت تجرعه المرارة ثلاث مرات يوميا
إلى أن أصبح أحلى..!

صمت الحملان

ظل يراقبهم صامتا..
طلبوا منه أن يتكلم فاستعصم..
لما ألخوا..
(...)،

تمنوا لو يسكت!

إصرار

سأني أن أراه مرتديا معطفه صيفا و شتاء حتى حال لونه، و
صار له كالجلد للعظم...: قد يكون بسبب فقر مدقع..
اشترت له واحدا جديدا.. قدمته له فأعرض عنه و نأى بجانبه
بشكل جنوني..
زينته له بأعطر مدح.. كانت كلماتي كمحدر أفقده وعيه..
اهتبتها فرصة و شرعت في كشط معطفه..
لما استعصى علي الأمر، توليت و في القلب حرقه، و بالأظافر بقع
دم..
دم..

وطن

رسم ابني ، بفرح عارم، وطننا بكل ألوان قزح..

ثم،

أتاني باكيا و قد رأى البوم و الغربان قد سكنته..

صدمة ..

جذب الطفل من يده بقوة الرغبة، إلى حيث الخلاء، ففزعت
العصافير، و اصفر النبات، و أصيب الذئب بالذهول!

فصاحة لسان

احتفى بمحراب صمته ، انحنى يراوغ الزوابع .
لما هبت نسيات الربيع ، أحس أن جسمه قد أነع -
حينها - أطلق الطائر الذي بين فكيه! ..

ذبول

بركن منعزل لمقهى تطل على حقول خضراء شاسعة، و على
ضوء ذبالة شمعة متراقصة، و بالقرب من وردة ضاحكة، أمسك
بيدي و قالت
أحبك بجنون...!
ثم،
قام و قبلني بحرارة.. أذبلت الوردة!

حلم، عصا، و يقطينة

رفع سقف أحلامه عاليا.. وجد صدر بلده ضيقا حرجا كأنها

يصعد في السماء..

ذهب إلى البحر مغاضبا.. شقه بعصا رغبته.. سار فيه سيرته

الأولى..

بعد زمن،

عاد، يتفصد عرقا، و فوق ظهره يقطينة!

لوحة..

تدخل إلى مرسمها بسرعة و هي تنفض عنها مياه الأمطار
..تشعل الأنوار و المدفأة..تتوقف أمام اللوحة البيضاء تتأملها

طويلا..

ثم،

تشرع في تمرير فرشاتها عليها بحنو..تداعبها بحركات

متموجة..هبوطا و صعودا..

حين استوت رجلا، نظرت إليه بإعجاب..

ثم،

طفقت تكسوه من ثوبها قطعة قطعة..حتى إذا استوى..

تمدت فوق سرير رغبته المشتعلة، عارية!

تأجيل

رجع من غيبته الطويلة عازما على ملء الأرض عدلا بعد أن
ملئت جورا..
المشاهد الكثيرة ضغطت على دمه فارتفع منسوبه حد الجلطة..
فارتدى ثوب الغياب!

تعددية

هيأت الحكومة كل الظروف لتمر المظاهرة في أحسن حال..و
مدت المتظاهرين بمكبرات الصوت أيضا..
انطلقت المعارضة تجوب الشوارع المحروسة، منددة و
مطالبة..رافعة صوتها النقدي عاليا..
إلى أن انتهى العرض..

تحطم

١

تمشي الهوينى..
يدركها الليل.. يأخذها بعيدا..
يمسح عنها الطهر..
يمتص صرختها الصباح..

٢

تمشي الهوينى..
يدركها الليل..
يأخذها بعيدا..
يمحو بياضها..
وفي جوفه ينطفئ القمر..

ثلاثية الدخلة

١_ هـداف

عالج القفل طويلا، و لما استعصى عليه فتحه..
اغتسل، في اليوم الثالث، بموج اليم، سبعا..
ثم، تخطى، في اليوم الخامس، المبخرة، سبعا..
و في اليوم السابع، استوى على سرسر الطبيب، و أقر أنه أضاع
المفتاح..

٢_ فضيحة

هو لاعب ماهر..رائع التسديد..
قضى ليلة دخلته يراوغ بحثا عن ثغرة لتسديدة الانتصار..
في الصباح، و أمام الصحافيين، أعلن أن الكرة مفرغة الهواء..!

٣_تساؤل

زفت إليه تحت أنظار ابن الجيران الجاحظة..
دخل بها، ثم خرج على الناس منتفخا مرفوع الهامة.. ورماهم
بلباس الطهر ملقما إياهم الصمت..
أصبح ابن الجيران حردا..

الفهرس

١٩	منازل	٣	مسرور
٢٠	إلهام	٤	تناثر
٢١	سراب	٥	بين عهدين
٢٢	الحدث	٦	إعادة تركيب
٢٣	تذليل غير ملزم	٧	زمن
٢٤	تينة	٨	سؤال نازف..
٢٥	انحناء	٩	حسرة
٢٦	لحن الغروب	١٠	تخل
٢٧	تداع	١١	الصورة الثانية
٢٨	دمية	١٢	الشيخ و المريد
٢٩	كعكة	١٣	البئر المهجورة
٣٠	عيد ميلاد	١٤	حرائق
٣١	البيات الشتوي	١٥	مساران
٣٢	الدائرة المغلقة	١٦	هجرة
٣٣	فهم	١٧	الطيور لا تنظر خلفها حين تحلق
٣٤	ذاكرة	١٨	قبعة

٤٩	سكر زيادة	٣٥	لعب
٥٠	صمت الحملان	٣٦	غرض
٥١	إصرار	٣٧	ماء
٥٢	وطن	٣٨	حنين
٥٣	صدمة	٣٩	عراف
٥٤	فصاحة لسان	٤٠	تجربة
٥٥	ذبول	٤١	إعادة كتابة
٥٦	حلم، عصا، ويقطينة	٤٢	قصة كاتب
٥٧	لوحة	٤٣	تراب
٥٨	تأجيل	٤٤	ميدولوجيا
٥٩	تعددية	٤٥	اغتنصاب
٦٠	تحطم	٤٦	تمثال
٦١	ثلاثية الدخلة/ هدف	٤٧	حرقه الشذى
		٤٨	ربيع العطش